الجامعة بين النظرية والتطبيق

الأستاذ الدكتور
محمد ابراهيم كاظم
مدير جامعة قطر سابقاً

الجامعة ليست مجرد فكرة ، ولكنها فى واقع الأمر أشياء كثيرة ، ولطالما تحدثنا عن الجامعة عبر سنوات طويلة ، وقلنا أنها ليست مجرد مفهوم محدود ، ولا مؤسسة موضعية الأهداف محدودة المقاصد ، وانما هى أكثر من ذلك . وكنا نقصد دائما أن الجامعة مفهوم متحرك ، مفهوم ديناميكى قابل للتغيير ، لماذا ؟ لأن الجامعة أيضا مجتمع ، والمجتمعات لا توجد فى فراغ ، ولا توجد فى عزلة بعضها عن بعض ، والمجتمعات فيها الصغير وفيها الكبير ، وفيها المؤثر ، وماهو أكثر تأثيرا وما هو أقل تأثيرا ، ولكنها تترابط وتتشابك ، وتجعل من نفسها منظومة . والمنظومة فى تصور سهل هى بنية من جزئيات وعناصر متفاعلة . المنظومة اذا وان كان لها ثبات واستقرار الا أنها بنية دائمة الحركة ، دائمة التغير ، دائمة الفعل ، دائمة النشاط ، دائمة التعبير عن نفسها . الجامعة جزء من مجتمع كبير والمجتمع الكبير جزء من مجتمع أكبر .

ولا يمكن أن نتصور الجامعة الا باعتبارها منتمية . تنتمى الى وطن ، تنتمى الى اطار فكرى ، تنتمى الى مجتمع أكبر ومجتمعات ودوائر أكبر فأكبر ، وهى تتأثر بالضرورة ،

وبحكم هذا الانتماء ، بالمجتمع الأكبر ، التى هى جزء منه .

فكرة الجامعة بهذا الشكل لابد أن تكون دينامية متغيرة ، ولا نستطيع على أساس فكر مطلق ، فكر ساكن ، أن نتصور جامعة قادرة على التعامل مع حياة الجامعة كفكرة لها تجسيد ، ولكنه التجسيد الذى يأخذ صور الاجراءات والتطبيق ، ولابد أن يتأثر ويتخذ صيغة وصورة التعدد من كونه مرتبطا بالاطار الذى هو جزء منه .

فكرة الجامعة :

فلنرجع قليلا الى الأفكار القديمة : كيف نشأت فكرة الجامعة ؟ ولماذا ؟ الجامعة بدأت كمجتمع من أصحاب الفكر عندما بلغت المجتمعات المرحلة التاريخية أو المرحلة الحضارية التى استطاعت أن توفر فائضا يسمح لبعض أفرادها بشيء من الزمن وشيء من راحة البال والاستقرار وشيء من بحبوحة العيش أو العيش فى ظل من هم فى بحبوحة من العيش ، يسمح لهم بأن يكون هناك فكر وحوار وبأن يكون هناك حديث . بدأت الجامعة اذن باعتبارها مجتمعا من أصحاب الفكر ، من العلماء ، من الفنانيين ، من الفلاسفة ، والجامعة جامعة لأن الفنان والفيلسوف والعالم فى نهاية المطاف ـ وان اختلف الفن عن العلم عن الفلسفة ـ يجتمعون فى كيان واحد . فلا نستطيع أن نتصور عالما جليلا دون أن يكون صاحب فلسفة ، ولا نستطيع أن نتصوره دون ان يكون مرهف الحس قادرا على التعبير ، وقادرا عندما يعبر عن نفسه ان يكون فى الوقت نفسه معبرا عن الآخرين ، تضيق الحلقة أو تتسع ، ولكنه فنان تضيق الحلقة أو تتسع ، ولكنه يدفع ويدفع كل يوم وكل لحظة بآفاق العلم وآفاق المعرفة الى الأمام . كل هذا فى اطار متكامل ونظرة كلية تنسج هذه الحياة الانسانية كلها فى كل متكامل يتعامل مع المعرفة ، كما يتعامل مع الوجود كما يتعامل مع القيم .

هذه المجتمعات الانسانية تطورت . وهنا أريد أن أؤكد ان الأصالة لا ينبغى اطلاقا أن تختلط بعدم التطور ، ان الأصالة لا ينبغى أن تختلط بالجمود والشيء ذو الأصالة ان لم يكن متطورا يكن شيئا عتيقا . فالأصالة ترتبط بالتطور ، وترتبط بالتغير ، وترتبط باختلاف

الصيغ ، وترتبط بالقدرة على أن تكون نفس الشيء معبرا عن نفسه فى صيغ مختلفة متطورة قادرة على الاستمرار وقادرة على البقاء ، وكلما كانت الأصالة أعمق جذورا كلما كانت قادرة على ذلك كله . وأحد المعايير التى نقيس بها هذه الأصالة ، التى تنبع عن ذاتها ، هو تلقائية وطلاقة التعبير عن ماهيتها . هذه التلقائية أو هذا اليسر فى التعبير بحد أدنى من الجهد والكلفة هو أحد دلائل الأصالة . والبديل هو الجهد المبذول فى صنعة التعبير غير التلقائى المقصود .

قضية الانتماء :

هذه باختصار فكرة الجامعة . وهنا يجب أن نتحدث عن قضية الجامعة من ناحية الانتماء للمجتمع . فاذا قلنا بأن هناك أشكالا مختلفة للجامعة ، واذا قلنا بأن الجامعة التى نتحدث عنها هى تطور من هذا المفهوم القديم ، مجموعة من العلماء ، وأصحاب الفكر ، وأصحاب الأصالة ، وأصحاب الحس المرهف ، القادرين على النظر الثاقب ، والتعبير الدقيق ، والجميل أحيانا ، اذا كنا نقول هذا فاننا نتحدث عن نوعيات متعددة أيضا من الانتماءات الجامعة فى اليونان كانت تعبر عن حضارة معينة ، عن فكر معين ، عن توجه معين ، تعبر عن منطلق معين ، وتنطلق لتحقيق أهداف معينة ، والجامعة فى المجتمع الاسلامى جامعة تجمع أيضا بين أصحاب الفكر وأصحاب العلم وأصحاب الفنون ، وتجمع هؤلاء جميعا ، هم وطلابهم وأساتذتهم ، ولكن بأهداف أخرى ومنطلقات أخرى وحياة أخرى . فالمجتمع الاسلامى على تنوع صيغه ومراحله يصدر عن مجموعة معروفة محددة من المفاهيم ، نُهج معينة من الحياة ، نظرة خاصة للحياة والكون ، علاقات خاصة بين الفرد والفرد ، الفرد والمجتمع ، الفرد والله ، المجتمع والله سبحانه وتعالى . المجتمع الاسلامى مجتمع ينظر الى الحياة باعتبارها حياة ذات معنى ، ولحكمة معروفة أو غائبة ، ينظر لوجود الانسان على الأرض بأنه ليس عبثا ، حياة لها معنى تليها حياة أخرى ، حياة فيها حساب دقيق وتنتهى بحساب دقيق . ومن الطبيعى أن جامعة تنتمى لهذا الاطار تختلف عن جامعة تنتمى الى اطار وثنى أو مادى أو لا دينى ، يرى أن الحياة حياتنا الدنيا ، نموت ونحيا وما يهلكنا الا الدهر ،

حياة تنظر الى أن الناحية المادية هى كل ما ينبغى ان نعتنى به ، الى آخر هذه الأشياء .

الصراع الحضارى :

مما سبق نصل الى أن قضية الهوية الحضارية عنصر أساسى فى فكرة الجامعة . فالجامعة ليست مجرد مجموعة من الأفراد ، ولكن مجموعة أفراد يتحملون مسئولية معينة بحكم هذا الانتماء الذى ينتمون اليه ، ويحققون هوية حضارية معينة ، ليست الوحيدة فى الكون وانما تتجاور مع هويات حضارية أخرى . فالهوية الحضارية للمسلم العربى يجاورها فى العصر الحاضر هويات حضارية للمسلم التركى وللمسلم الهندى ، كما يجاورها هويات حضارية أخرى للغرب والشرق والشمال والجنوب . هذه الهويات كلها وان كانت تتفق فى بعض الأرضيات المشتركة بحكم انسانيتها ، الا أنها أيضا تختلف فى الأرضيات غير المشتركة . هذه الأرضيات غير المشتركة تمثل بالنسبة لبعضها البعض شيئا من التحدى راجع الى الاختلاف أو الخلاف أو التعارض . وهذا الذى نتحدث عنه أحيانا ، فنقول : « الاسلام وتحديات القرن العشرين » و « المجتمعات الاسلامية وتحديات المجتمع الغربى » و « المجتمع العربى وخطر الغزو الثقافى » هذه الأفكار كلها انما تمثل وتعبر عن اختلاف طبيعى لحياة طبيعية من حيث الهويات الحضارية المعاصرة ، التى تتجانس فى بعض الأرضيات المشتركة بحكم انتمائنا جميعا للحياة البشرية وبحكم تفاعلاتنا عبر القرون وعبر الأيام وبحكم تعاملنا مع بعضنا البعض . ولكن نبقى جميعا متمايزين عن بعضنا البعض ، مختلفين عن بعضنا البعض ، نشكل بالنسبة لبعضنا البعض التحديات ، وهذه التحديات المتبادلة هى ما أسميه **بالصراع الحضارى** .

ليس هناك شىء غريب فى قضية الصراع الحضارى ، وليس هناك شىء مخيف بالنسبة للصراع الحضارى ، لأنه حيثما توجد الحياة يوجد الصراع الحضارى . ويشتد الصراع الحضارى حدة وعنفا أحيانا عندما يعبر الصراع عن عظم الخطر الذى تمثله حضارة على حضارة أخرى . وعندما تسبق حضارة أخرى بدرجة كبيرة ، يكون الصراع أداة لتغير حضارى لصالح الحضارة الأكثر تقدما وقدرة ، عند ذلك نقول اننا فى حاجة الى تأكيد النِّدية

الحضارية . فالصراع الحضارى مالم يقم على ندِّية حضارية ، تصبح القضية قضية مهزوم واضح منذ البداية ومنتصر معروف منذ البداية . وبقى عامل الزمن لتحقيق الهزيمة أو النصر . هنا تبرز قضية فكرة الجامعة وفكرة الانتماء من فكرة الصراع الحضارى المعاصر ، وحتمية تطوير المفهوم القديم للجامعة من مجرد مجموعة من المفكرين ، الى مجموعة من الناس يتحملون مسئوليات معينة . هذه المسئولية ترتبط بالدرجة الأولى بقضية الندية الحضارية للحضارات والثقافات المعاصرة ، ونوعية وصيغ الصراع الحضارى القائمة فى عالمنا المعاصر . تلك هى مسئولية الفكر بالدرجة الأولى ومسئولية الناس الذين يتولونه ويفرضون على أنفسهم مسئوليات معينة فى هذا الصراع . والمجتمعات تتكون من الناس ، ومن التفاعل بين هؤلاء الناس ، ومن وظائف هؤلاء الناس وطبيعى أن المجتمع الأمثل هو المجتمع الذى يتحمل كل فرد فيه مسئولية بأمانة وجدية وشرف ، ولكن واقع الأمر أيضا يقول ان المجتمعات ـ أى مجتمعات ـ وفى أى مكان ، وفى أى مرحلة تاريخية ضمت الذين يتحملون مسئولياتهم بأمانة وجدية وشرف ، كما ضمت الذى يأخذون مسئولياتهم مأخذ المستخف .

موقعنا من العصر :

ان دور الجامعة فى عالمنا العربى المعاصر ، ودور الجامعة فى أمتنا الاسلامية المعاصرة يرتبط ارتباطا وثيقا بعنصر أساسى ، وهو دورها فى مساعدة المجتمع على اللحاق بالعصر . بيد أن مساعدة المجتمع على اللحاق بالعصر هى عبارة قصيرة ، لكنها تضم مجموعة كبيرة من التساؤلات . ماهو العصر ؟ وما معنى اللحاق بالعصر ، وما معنى التخلف عن اللحاق بالعصر ؟ وما معنى مساعدة مجتمع على اللحاق بالعصر ؟ وما معنى التخلف عن اللحاق بالعصر ؟ وما معنى مساعدة مجتمع على اللحاق بالعصر ؟ وما هو هذا المجتمع الذى يريد أن يلحق بالعصر ؟ وهل نحن الذى نتكفل بدفع عجلة المجتمع بأيدينا أو بفكرنا للحاق بالعصر ؟ وهل نحن جزء من هذا العصر ؟ واذا كان العصر يمثل مستويات متفاوتة من الحضارة وصيغا متعددة من التوجهات ، فأين نحن من هذا العصر ؟

واقع الأمر أننا نحيا من حيث التاريخ المكتوب فى سنة ١٤٠٦ هجرية ، حقيقة ملموسة أننا نحيا فى سنة ١٩٨٦ ميلادية ، ولكننا نعلم ايضا أن اكثر من ثلثى سكان المعمورة من البشر لا يجدون ما يكفيهم من الطعام والكساء ، والمسكن اللائق . وأنا حين أتحدث عن حاجز الفقر أتحدث عن شىء ملموس ويمكن تحديده بمعايير ملموسة . قد تختلف تقديراتنا حول نسبة عدد الفقراء وهل تبلغ الثلثين أو الثلاثة أرباع أو النصف . ولكن هذه قضية تعاريف وقضية مصطلحات وقضية معايير وليست هذه قضيتنا الأساسية على أية حال . المهم أن هناك على محور الحضارة التكنولوجية ، وعلى محور الحضارة المادية المعاصرة نسبة ضئيلة من سكان العالم تحيا على مستوى معين ، ثم تتلوها نسب متفاوتة من البشر على طريق طويل متقطع . وكلما زادت سرعة الانسان المعاصر ، كلما زادت ظاهرة التبعثر على الطريق . عندما كانت الانسانية بطيئة الحركة فان قدرة الانسان على أن يتحرك فى صورة كتلة أو كتل متقاربة كانت أكبر ، وعندما تزيد سرعة حركة الانسان المعاصر فان الانسان يتبعثر على هذا الطريق الطويل . والانسان العربى بهذه الصورة يمكن أن ننسبه الى الانسان المتوسط ، ويمكن ان ننسبه الى الانسان الأكثر تقدما ، ويمكن أن ننسبه الى آخر المسيرة . وهذه قضية فى أيدينا ، وان كنا نحن بالنسبة لتصورنا لأنفسنا وبالنسبة لطموحنا لابد ان ننسب أنفسنا للبشر الذين هم فى المقدمة . واذا تناولت عنصر التقدم المادى التكنولوجى فان المجتمعات البشرية التى فى المقدمة هى المجتمعات الغربية . ومن المعروف ان المجتمعات الغربية ليست مجرد مجموعة من السيارات والطائرات وأبحاث الفضاء وهذه الأشياء كلها ، وانما هى كل حضارى متكامل ، هذا الكل الحضارى تطور عبر مئات السنين .

وتنتسب الحضارة الغربية الى حضارة اليونان القديمة ، كما تنتسب الى الحضارة المسيحية التى انتقلت الى أوربا وانتقلت الى الغرب فى مرحلة لاحقة ولكن كل ذلك يكون الآن شيئا فريدا متكاملا ، يجمع فكرا ، ويجمع فنا ويجمع فلسفة ، ويجمع علما ، ويجمع نظاما معينا للحركة وللتعامل وللتكامل .

المجتمعات الاسلامية مرت أيضا بمراحل متعددة ، مرت بتطور حضارى اتخذ صفته التى اتخذتها . ثم بدأت علاقتنا بالغرب تصبح علاقة من نوع خاص . علاقة تعامل ، ظهرت

بصورة بارزة مع القرن السادس عشر وما تلاه ، ظهرت بصورة بارزة مع الاكتشافات الجغرافية ، ظهرت بصورة بارزة مع الاستعمار . ومع الاستعمار ظهرت قضية التغريب ، ظهرت قضية أن هناك حضارة أعلى من حضارة . وكان الذى فى يده السيف وفى يده القدرة على الانتصار فى ميدان المعركة العسكرية وميدان التقدم التكنولوجى ـ الذى كانت المعركة العسكرية ومازالت جزءا منه ـ يدعى انه يمثل الحضارة الأرقى . بناء على ذلك فان حركة التطور الفكرى العربى الاسلامى لم تسر منغلقة على نفسها ، ولم تسر بمعزل عن حركة الحضارة الغربية ، وانما سارت بالصورة التى تمت عليها متعاملة مع الحضارة الغربية بصيغ متعددة .

حضارة أرقى ؟

انتقل من هذه النقطة الى قضية التغريب ، قضية التسليم بأن الحضارة الغربية حضارة أرقى وعلينا : أما أن نترك حضارتنا كلية ونقطع صلتنا بها كلية وننـدفع الى الحضارة الغربية لنصبح جزءا منها ، واما ان نبقى على جذورنا ونبقى على حضارتنا ، ونأخذ من الحضارة الغربية ما لا يتعارض مع جذورنا ومع أصولنا ، أو أن نقف موقف الحائر لا يدرى ماذا يأخذ وماذا يترك . لا ندرى هل نقف أم نتحرك ؟ وحتى عندما ننطلق فى الحركة لا ندرى فى أى اتجاه .

ولقد قامت حركات كثيرة تمثل محاولة القطع البترى للجذور وأنا لا أريد أن استطرد كثيرا فى هذه النقطة ، ولكن فقط أريد أن أضرب مثلا وأتركه ، محاولة « أتاتورك » فى أن ينشىء مجتمعا تركيا جديدا هو جزء من الحضارة الغربية ، وأذكر « أتاتورك » لأن تجربة أتاتورك تجربة صريحة واضحة المعالم ، تجربة لها نقطة بدء ونقطة انتهاء ونقطة مرور وأنتم تعرفون جزئياتها . ولكن ما يعنينى فى الاشارة الى تجربة أتاتورك أن كثيرا من المجتمعات الأخرى التى تحدثت عن شدة حرصها على الجذور وشدة قدرتها على تعزيز الانتماء للجذور والأصالة انطلقت أيضا دون حوار كاف لكى تصبح جزءا من الحضارة الغربية .

ليس لدّى ، ولا يكون لى ، أن أعترض على أن يزداد ويتعمق انتماء أبناء الحضارة الغربية

للحضارة الغربية . ولكن المشكلة أن غير الغربى لا يستطيع لمجرد التمنى أن يصبح جزءا من الحضارة الغربية ، حتى على فرض أن الحضارة الغربية حضارة جديرة بالاتباع . فاذا أضفت الى ذلك أن الحضارة الغربية ليست بالضرورة حضارة جديرة بالاتباع ، بالاضافة ـ ماديا ومعنويا ـ الى انها حضارة لا تستطيع ان تقبل التعميم . واذا كانت هذه الحضارة تتسع لمائتين أو ثلاثمائة مليون انسان معاصر ، فهى حضارة لا تسمح لها مصادر الثروة البشرية على الكرة الأرضية بأن تتسع لأضعاف هذا العدد . ولو زاد عدد أفراد المنتمين للحياة الغربية الآن للضعف لانهارت الحضارة الغربية كلها . لا يوجد على الأرض كم من الحديد أو النحاس أو الكبريت ولا من المعادن ولا من الطاقة المتاحة حاليا ما يكفى لمستوى المعيشة الذى يميز الحضارة الغربية عن الحضارات الأخرى . بل وأقول ان الحضارة الغربية لا تعانى الآن من مشكلة الطاقة ، فالطاقة ليست مشكلة ولن تكون مشكلة ، وطالما أن هناك الشمس مصدر الطاقة على الأرض فان التقدم التكنولوجى لحقيق بأن يعطى الانسان بدائل طاقة وبالسرعة التى تتناسب مع احتياجاته . ولن تنهار الحضارة الغربية لعدم كفاية الطاقة ، ولكن مستوى المعيشة فى الحضارة الغربية ـ وهو ما يميزها عن غيرها من الحضارات ـ مرتبط بمجموعة من مصادر الثروة ـ غير الطاقة ـ المادية المحدودة على الارض . ولست أدرى ما اذا كانت أبحاث الفضاء سوف تستطيع ان تحقق لها التحرك بالسرعة المناسبة للاستمرار أو لا .

جيوب حضارية :

الحضارة التى أجد معظم العالم العربى والاسلامى فيها الآن هى الحضارة أو الثقافة التى تقبل على الحضارة الغربية بنهم شديد ، وتعلن فى نفس الوقت باستمرار شدة الحرص على تأكيد انتماءاتها الأصيلة ، (ولكنها المعادلة الحقيقية والتى لم تتحقق ، ولم تنجح الجامعات فى تحقيقها ، وهى أحد أدوار الجامعات المتضمنة فى تعبير « مساعدة المجتمع على اللحاق بالعصر ») ولكن القضية الحقيقية هى أن محاولة اللحاق بالغرب لم تفرز سوى بضع جيوب تنتمى للحضارة الغربية . فقضية أننى « أريد مدينتى جزءا من أوربا » ، هذه المدن التى تنتشر فى مغارب الأرض ومشارقها فى العالم العربى والاسلامى على النمط الأوربى ، التعليم

الذى هو تقليد مباشر للنمط الأوربى ، والجامعات التى هى محاكاة صريحة للنمط الأوربى - وأنا لا أتحدث عن أوروبا المعاصرة بل أتحدث عن النمط الغربى ككل - حتى ليخيل الينا أحيانا أن الجامعة لا تكون جامعة ان لم تكن على نفس النمط المعمارى ، بل وعلى نفس نمط الحدائق المتعارف عليه فى الغرب . هذه الجيوب الحضارية أفرزت مجموعات من الأفراد ومجموعات من البيئات ضمن اطار المجموعات العربية الاسلامية المعاصرة تعجب بعناصر معينة من الاسلام ، تعجب بصفات معينة من صفات العرب الأصيلة ولكنها تمر بها مرور السائح ، أما انتماؤها فهو ليس هنا وربما ليس هناك . مجموعات حتى الزى تتزى بهذه الصورة ، حتى التبعية فى تغير المظاهر المادية الملموسة ، لكن بقية القاعدة المجتمعية الضخمة التى نرهقها اقتصاديا بأن نفرض عليها ما لا تستطيعه بنيتها التحتية المادية ، مصادر ثروتها ، قدرتها الانتاجية ، تصوراتها للانتاج ، صيغ الحياة ، بالاضافة الى عدم تصورها الواضح للهدف من هذه العجلة كلها والمغزى لهذه الأشياء كلها . ماذا نفعل بها ؟ ماذا نفعل بأبنائنا ؟ الى أين المسير ؟ ماهى نقطة الانطلاق ؟ ماهو الهدف ؟ ليس الهدف الذى نتحدث عنه ، ولكن الهدف الذى ننطلق اليه فعلا . هذه المشكلة لها نتائج منطقية ، النتائج المنطقية هى اختلاف التوجهات ، والنتائج المنطقية لاختلاف التوجهات هى اختلاف اللغات وأقصد باختلاف اللغات اختلاف موجات الاتصال بين البشر ، الاهتمامات ماهو مهم وما هو غير مهم ، التخلخل القيمى ، التصدع القيمى بين الناس . عدم القدرة على الحكم الواحد على الشيء الواحد من مجموعات متقاربة من الناس ناهيك عن المجموعات المتباعدة .

حديث ولا حوار :

هذا هو الموقف ، موقف مجموعات يكثر بينها الحديث ولكنه حديث الجدل وليس الحوار المثمر ، نتحدث كثيرا ولكننا لا نصل الى بعضنا البعض ، وبالتالى لا ننتهى بصورة تبنى فوق ما نصل اليه . وعندما نقول أن لدينا نظرية تربوية أو ليس لدينا نظرية تربوية ، عندما نقول أننا لدينا نظرية اجتماعية أو ليس لدينا نظرية اجتماعية ، وعندما نقول أننا لدينا نظرية

اقتصادية أو ليس لدينا نظرية اقتصادية ، فان هذا لا يعنى أننا ليس لدينا نظرية تربوية ولا يعنى انه ليس لنا نظرية اقتصادية ، ولكن يعنى اننا لا نتفق على نظرية تربوية متكاملة ، ولا نظرية اقتصادية متكاملة ، ولا نظرية فكرية متكاملة ، ولا معايير متفق عليها نستطيع ان نحتكم اليها . وبناء على ذلك فنحن ومنذ فترة زمنية طويلة نسير مع عدم اتفاق فى التوجّه وعدم اتفاق فى تحديد الأهداف وبالتالى تحديد المسار ، وهنا لا يجدى أن نسرع أو نبطىء فالقضية ليست قضية اسراع او ابطاء ولكنها قضية : هل نعرف ماذا نريد ؟ هل لدينا ارادة لتحقيق هذا ؟ هل لدينا بناء على ذلك خطة للوصول الى التحقيق ؟ هذه هى القضية .

الاسلام ليس مجرد عقيدة ، ولكنه عقيدة وشريعة . . عقيدة وتنظيم ، وأنا أحصر حوارى الآن مع من تضمه معى قاعدة الايمان حيث يكون الحوار ضمن اطار ومعايير وله قواعد ونقط اتفاق مبدئية . وأنا ليس لدى اى رغبة ـ فى الوقت الحاضر ـ فى أى حوار مع من لا يؤمن بالله ، ليس لأن هذا الموضوع غير هام ، ولكن لأن هناك ماهو أهم منه ، الحوار مع من يؤمن بالله ، الحوار مع من يؤمن بالاسلام ، وعندما أقول لمن يؤمن بالاسلام ان الاسلام يعتبر كرامة الانسان قضية أساسية محورية فهذه كلمة لها معنى لأن من الممكن منطقيا أن يترتب عليها سلوك أو حتى برنامج عمل . عندما أقول أن الاسلام يدعو الى التفكر ويشجب الاتباع ويشجب أن يكون الانسان امعة فهذه كلمة لها معنى عند المسلم ، ومن هنا أستطيع أن أتطرق الى تحديد واضح المعالم لـ : ماهى الجامعة التى نتحدث عنها فى اطار هذا الفكر الذى لابد أن نتطور منه الى أشياء ملموسة .

تحديد الهوية :

الجامعة اذن لابد أن تكون منتمية ، ولابد أن تكون واضحة بالنسبة لهـويتها ، وواضحة بالنسبة لدورها فى توضيح معالم الهوية الحضارية للمجتمع . ولا يكفى ان نقول أننا عرب ، ولا يكفى أن نقول أننا مسلمون . بل يجب ان تكون هناك اجراءات محددة واضحة . ما معنى كلمة مسلم ؟ ما هو الاسلام ؟ ما معنى كلمة عربى ؟ ما هى العروبة ؟ ما هى العلاقة بين العروبة والاسلام ؟ وهل العروبة تتعارض مع الاسلام ؟ هل الولاء

للاسلام يمنع من أن يكون لى انتماء لعروبتى ؟ هل يمنع أن يكون لى ولاء لوطنى اذا كنت من الهند ، أومن فرنسا ؟ وما هى العلاقة بين هذه المجتمعات وبعضها البعض ؟ وهل الهوية لو وصلنا الى تحديد معالمها ، هى هوية جامدة لا تتغير أى دائمة هل هناك شيء من هذا القبيل ، هل المقصود أن نصل لنتوقف ولنستريح البحث عن اليقين ليس هو البحث عن الراحة ، ولكن هو دوام البحث ودوام المتابعة ودوام العمل ، وعندما أطبق هذا المعنى أو هذا المضمون بالنسبة لقضية الهوية ، وعندما أتحدث عن دور الجامعة فى رسم ملامح الهوية بالنسبة لنفسها ، وبالنسبة للمجتمع الذى تنتمى اليه ، فأنا أقول أن الهوية هوية متطورة متغيرة ، لماذا ؟ لأن الحياة تتغير ، ولأن الانسان يتغير ، ولأن التكنولوجيا تتغير ، ولأن النبات يتغير ، ولأن مصادر الثروة على الأرض تتغير ، نكتشف ماهو جديد وينضب ماهو قديم ، ولابد ان نتعامل مع التغير وعندما نتعامل مع التغير لابد ان نتعامل من منطلق ينطلق الى هدف ولتحقيق غاية ، لابد أن نتعامل بهوية . من نحن ؟ وبدون من نحن ، لن ندرى ماذا نريد ، ولكن الهوية قضية ديناميكية وفكرة متطورة متغيرة . وهذا هو أحد الأدوار الأساسية للجامعة تحت عنوان عريض اسمه « اللحاق بالعصر » .

النقطة الثانية مرتبطة بقضية الهوية أشد الارتباط ، وهى قضية « التقدم والعصرية » وهما مفهومان كبيران يرتبطان معا كجسد واحد . اذ لا يكفى مثلا ان تتقدم جامعة قطر ، ولا يكفى أن يصبح طلاب جامعة قطر عصريين انما يجب أن يتقدم المجتمع داخل جامعة قطر وخارج جامعة قطر ، يجب ان نتحدث نفس اللغة ونفس المعنى ، ويجب ان يغذى المجتمع قدرة هذه البيئة وهذا المجتمع فى داخل جدران الجامعة على ان تتطور وان تتقدم والا تحولنا الى أبراج عاجية معزولة حتى العدم .

تعدد الانتماءات :

قضية الفجوة بين الأجيال قضية معروفة وتحدث عنها اناس كثيرون ولذلك فلن أتحدث عنها ، ولكن أتحدث عن فجوة أخرى ، الفجوة التى تحدث نتيجة لتعدد الانتماءات الحضارية ، ونتيجة للجيوب الحضارية التى تحدثت عنها . ونتيجة لأننا نتقاوت فى انتماءاتنا

العربية الاسلامية ، نتفاوت فى انتماءاتنا الوطنية ، ونتفاوت فى انتماءاتنا الى أى شىء . هذا التفاوت ليس قدرا نستسلم له وانما يخضع لاجراءات يمكن تحقيقها ويمكن التعرف عليها ويجب التعامل معها لسد هذه الفجوة . اللحاق بالعصر اذن هو تحديد للعصر ، تحديد لمفهوم التقدم ، والتقدم هو الاستفادة من أقصى ما يصل اليه الانسان . النموذج المعروف الملموس للتقدم أمامنا الآن هو الحضارة الغربية ومشكلة الفكر الجامعى المعاصر هى أن ابن الحضارة الغربية نقول له لكى تصبح متقدما التحق بهذه الحضارة وساعد على تطويرها وامسك بأعنة التغير فيها وكن جزءا منها . ولكن بالنسبة لاتباع الحضارات غير الغربية فنحن نقول لهم نحن نريد التقدم بمعنى الاستفادة من أقصى ما يصل اليه الانسان ولكن دون أن يكون النموذج الغربى بالضرورة هو النموذج الوحيد . واننا نستطيع مع كل المحاذير ومع كل الصعوبات ان نوجد صيغة لها ملامح ولها رأس ولها اقدام لاطار عصرى ولتطور عصرى يختلف عن الغرب ليتوائم معنا رغم كل الصعوبات والمحاذير لأن هناك صعوبات ومحاذير كثيرة . فمثلا عندما نتحدث عن ظاهرة البنوك الاسلامية ، وعندما نتحدث عن تطبيق الشريعة الاسلامية ، عندما نتحدث عن التربية الاسلامية ، عندما نتحدث عن الجامعة فيجب ألا ننسى أننا نتحدث عن نقطة انقطعت عن ماضيها . وليس هذا فقط ولكن نتحدث من نقطة ارتبطت أشد الارتباط بأنواع عديدة وغريبة من أفكار غريبة ترتب عليها جدل كثير وحوار منتج أقل ، ترتب عليها قدرتنا على أن نتحدث دون أن نصل الى بعضها البعض ، وهذا اثر حتمى لوجود الجيوب الحضارية الغربية فيما بيننا دون محاولة جادة عبر هذه العقود الكثيرة الماضية لكى تنصهر فى المجتمع من حولها وتؤدى الدور المطلوب منها .

والجامعة مسئولة وينبغى أن تلعب دورا هاما ، ولذلك فان الجامعة عندما نقول عنها انها مجتمع فنحن نقصد أنها ليست الفصل الدراسى ، وليست المعلم والأستاذ ، ولكنها مجتمع انسانى متكامل مجتمع يعيش فيه الناس يتعلمون ويعلمون ، ويتكلمون ويتحاورون ، ويجرون التجارب ، ويصلون ويأكلون ، ويروحون عن انفسهم ، ويلعبون . . الى آخر ذلك ، وهنا تكون عملية المعايشة بالمعنى المتكامل ، عملية التدريب على ربط الكفاءة وربط ثمار التعلم بالمسئولية ، لأن التعلم مرتبط بالممارسة فى المجتمع وبمعايشة الحياة ، وهنا لا

يكون التعليم الجامعى ولا تكون الجامعة اعدادا للحياة ، وانما هى جزء من الحياة .

ما هو ممكن :

اذا كنا نتكلم عن التطبيق فنحن نتكلم لا عما ينبغى ، أو عما يجب فحسب ، وانما نتكلم أيضا عما هو ممكن . لأن الحديث عن الممكن يفيدنا فى تذليل الصعاب وجعل ما هو ممكن أكثر . عندما أقول أننى لا أفعل ما يجب احيانا فأنا أقصد أن أقول أننى لا أفعل الا ما أستطيع ، وكثير من الأشياء التى يجب أن أفعلها لا أفعلها اذا كنت لا أستطيع أن أفعلها . والسؤال هنا هو لماذا لا أستطيع . فهل لا أستطيع لقصور فى نفسى ؟ لقصور فى الجامعة ؟ أم أن مجمل الظروف الحضارية والتاريخية تقف حائلا بينى وبين هذا الذى يجب ، وتمنع من أن أكون أفضل مما أنا عليه الآن ؟ هذا هو الفرق بين « لا أستطيع » وبين « ليس فى الامكان أبدع مما كان » . الانسان المتراخى يبرر عجزه وقصوره وتخلفه بالدفاع عما هو قائم ، بأنه أفضل شىء ممكن ، الانسان المنفتح يقول لم نستطع أن نفعل أكثر مما فعلناه . لكن لو انتبهنا لكذا وكذا لفعلنا ماهو أفضل ، ولو استمعنا لأفكار الآخرين لفعلنا ماهو أحسن ، ثم يترتب على هذا القول أن ندرس أكثر ، ونسمع أكثر ونجيد أكثر . هذا هو المعنى الانسانى للعلاقة بين النظرية والتطبيق .

والآن نأتى لتطبيق ملموس كيف طبقنا هذه المعانى أو هذه المفاهيم فى حالات معينة ؟ كيف طبقناها فى الجامعات العربية ؟ كيف طبقت فى الجامعات الاسلامية ؟ وهل الجامعات الاسلامية هى الجامعات التى تدرس الشريعة ؟ هل هى الجامعات التى هى عضو فى رابطة الجامعات الاسلامية ؟ أو نأخذ حالة ملموسة هى حالة جامعة قطر ، كيف طبق هذا الفكر فى جامعة قطر ؟ أو لماذا لم يطبق فيها ؟ وما هى درجة تطبيقه ؟ وما الذى يمكن عمله لزيادة هذا التطبيق ؟ والكلام عن جامعة قطر لابد وأن يتطرق الى الكلام عن المجتمع القطرى . ان المجتمع القطرى لا يوجد فى فراغ ، فهو جزء من المجتمع الخليجى وهو يرتبط بالمجتمع الخليجى ، ويتشابه مع بقية المجتمعات الخليجية . وقطر تمتاز بأنها شبه جزيرة ، والبحرين تمتاز بأنها جزيرة فهل لجغرافية المكان علاقة ؟ نعم ، لها علاقة بمصادر الثروة ولها علاقة

بالسياسة ولها علاقة بالاقتصاد ولها علاقة بالسكان ، لكن فى مجتمع خليجى يضم المجتمع القطرى ومجتمعات الخليج الأخرى ، هل لنا رأى كجامعة بالنسبة لعلاقة هذه المجتمعات الخليجية ؟ نعم لنا رأى هو أن تتقارب وتلتحم وتتجه مسيرتها وجهة وحدوية . هل المجتمع الخليجى أمة ؟ لا ، المجتمع الخليجى جزء من مجتمع أكبر ينتمى اليه ، المجتمع الخليجى مجتمع عربى يرتبط بالمجتمعات العربية الأخرى ، وله المصير المشترك بما هو أهم من التاريخ المشترك ، والماضى على أية حال لا وجود له ، وانما دروس الماضى لها وجود لأنها دروس معاصرة ، والمستقبل يكتسب اهميته لأنه سوف يصبح معاصرا فى يوم من الأيام . المجتمع العربى مجتمع واحد . أما ماهى روابط الأمة العربية فهذا حديث يطول ، اذ ليست فقط هذه الروابط التى تقوم على أساس اننا نتحدث اللغة العربية ، واننا نسكن فى بقعة مرتبطة من الأرض ممتدة من المحيط الى الخليج ، وليست ايضا أيّا من هذه الروابط المتعارف عليها عندما درسنا القومية العربية أو القوميات الغربية أو فكرة القومية عند الغربيين ، بل ان نظرية الفكر القومى العربى يجب ان تقوم على غير الأسس التى قامت عليها النظريات القومية فى الغرب ، هذا حديث يطول . نحن اذن عالم عربى ؟ لا ، أنا اعترض على كلمة « عالم عربى » لأننا لسنا عالما ، هناك عالم واحد فقط ، العالم المعاصر ، ونحن جزء من هذا العالم المعاصر ، نحن لا نستطيع أن نعطى ظهورنا للعالم حتى نكون عالما قائما بذاته . نحن جزء من أمة الاسلام ، نحن ندين بالاسلام وعقيدتنا الاسلام ، والاسلام يتخلل حياتنا كلها ، ليس فقط عقيدة بلا مضمون أو عقيدة بلا سلوك أو عقيدة بلا تطبيقات . نحن نتفاوت فى القوة والضعف ، نتفاوت فى قوة وضعف الايمان ، نتفاوت فى القوة والضعف البشرى ، ولكننا على اية حال ننتمى جميعا الى هذه الأمة ، وننتمى الى اخوتنا فى العقيدة من أبناء القوميات الأخرى التى تنتمى الى الاسلام ، وبناء على ذلك فنحن فى حاجة الى ما يربطنا بهذه الهوية ونحن فى حاجة الى ان نوعى باستمرار . التوعية لا ينبغى أن تكون وعظا أو شرحا ـ حديثا أو القاء ـ انما التوعية معايشة . ولقد نظمت جامعة قطر تحقيقا لهذا الفكر فى يوم من الأيام رحلات لطلابها الى البلاد العربية والاسلامية وكانت هذه الرحلات تطبيقا لفكرة ووسيلة وأداء لها . لأن الطالب الذى يتخرج بعد أربع سنوات وقد زار أربعة مجتمعات مختلفة

من الأمة العربية والأمة الاسلامية يكون قد انتقل من حالة الذى سمع الى حالة الذى رأى ، ونحن نذكر قول الله عزّ وجل : « **قالوا نريد أن نأكل منها وتطمئن قلوبنا ونعلم أن قد صدقتنا ونكون عليها من الشاهدين** » (المائدة : ١١٣) أربع خطوات تسير تماما مع بعضها البعض تبدأ بأن نأكل أولا ، أى نلمسها بأيدينا ونشمها ونتذوقها .

لماذا الساعات المكتسبة ؟

وهناك أيضا قضية تبنى الجامعة لنظام الساعات المكتسبة ، وهو نظام جامعى معروف يتميز بأنه مرن متحرك ، يستطيع أن يتغير ، ويمكن فيه أن يتوقف برنامج وأن يبدأ برنامج آخر . كل هذا يتحقق فى ظل نظام الساعات المكتسبة أكثر من النظام التقليدى . اذن لابد أن يكون نظام جامعة قطر ـ تطبيقا لهذا الفكر ـ نظام ساعات مكتسبة . لابد أن تكون هناك رحلات للمجتمعات العربية والاسلامية . لابد أن يكون هناك تحديد لعدد من الساعات تتوافق مع ظروف الطلاب وظروف المجتمع . وهذه نقطة أخرى تتعلق بعدد ساعات البرنامج والمعروف أن عدد الساعات المكتسبة اللازمة للتخرج فى جامعة قطر هو ١٤٤ ساعة مكتسبة ، ويعرف من درسوا فى الولايات المتحدة وغيرهم أن عدد الساعات اللازمة للتخرج فى الجامعات الأمريكية ١٢٠ ساعة ، فلماذا ١٤٤ ساعة فى جامعة قطر ؟ هل ١٤٤ ساعة عدد مقدس ؟ طبيعى انه ليس مقدسا وانه قابل للتغير ، لكن ١٢٠ ساعة أيضا ليست عددا مقدسا . هذا الاختيار ـ ١٤٤ ساعة ـ كان اجتهادا فى ظل ظروف معينة ، ظروف الطالب الذى لم يعتد فى اطاره الحضارى أن يعتمد على نفسه بدرجة كافية ، وفى نفس الوقت يريد ان يعتمد على نفسه فلا نعطيه ١٨٠ أو ١٩٠ ساعة كما هو حادث فى الجامعات العربية التقليدية فنغلق الباب أمام فرصته للتغير ، انتقلنا اذن الى صيغة وسط ، عدد متوسط يكون فيه الحد الأقصى لما يدرسه الطالب ١٨ ساعة فى الاسبوع بدلا من ١٥ ساعة ، بحيث يستطيع الطالب الاستمرار فى الدراسة مع الاستاذ ومعتمدا على نفسه أيضا ، كما يستطيع الاستاذ ان يقوم بدوره فى شحذ فكر الطالب ، ودفعه للمكتبة ، ودفعه للبحث المستقل القائم بذاته ، ودفعه للعمل المرتبط بالفكر ، ودفعه لأن يكون له فائض من الوقت ليفكر ويتأمل ، وأن

يعلم الطالب أننا لا ننظر للترويح ولا ننظر للنشاط الثقافى أو الرياضى باعتبارهما اضافات يستكمل بها شكل المؤسسة التعليمية ، وانما هى حياة متكاملة يتعايش فيها الطالب ، ويتكامل فيها الفكر بالنظر وبالعمل .

هل استطاع الأستاذ ان يحقق ذلك كله وفق الخطة النظرية ؟ لا . لماذا لا يستطيع ؟ وهل لأننى أريد ان أجعل من جامعة قطر جامعة مثل جامعة استكهولم مثلا تصبح جامعة قطر كذلك بقدرة قادر ؟ اين هى هذه العصا السحرية ؟ أين هى الخلفية الحضارية التى لا نحتاج فيها الا لمجرد التعبير عن الفكرة حتى تنتقل بصورة منهجية الى حيز التطبيق دون المتابعة الحثيثة والمتبعة حتى يتحقق نصف ما نهدف الى تحقيقه ؟ أين الاطار الحضارى الذى يعلم فيه الطالب ويعلم فيه عضو هيئة التدريس أن لابد من لقاء ولابد من أن يدرك كلا الطرفين أن التعلم أهم من التعليم ، وأن التعلم غير التعليم وأن مهمة الأستاذ هى مساعدة الطالب على التعلم ، وأن هذا هو ما نقصده من تعليمه ، وليس ان تقول له ما تريد أن يحوزه حتى ولو كان سينساه بعد قليل ؟ أين هى الخلفية الحضارية التى نستطيع ان نصل فيها بالعدد الكافى من الطلاب ومن التقاليد المدرسية ومن المجتمع ومن عضو هيئة التدريس ومن الادارة التى يتحقق بها هذا كله ؟ وهل اذا لم يوجد ذلك كله نقبل بما هو قائم ؟ لا . عملية البحث عن الثغرات عملية لابد ان تستمر ، ولابد أن تكون جامعة قطر فى حالة اعادة نظر مستمرة دون أن يختلط الأمر فتصبح اعادة النظر المستمرة والفكر المستمر بلبلة . ان هناك سرا من أسرار الغرب ، سرا من أسرار التقدم لا بأس علينا اذا تبنيناه ليس فقط لأنه مفيد ولكن لأنه من صميم أصالتنا ، فى الغرب هناك حدود فاصلة اجرائيا بين التخطيط والفكر والتنفيذ . وأوضح ما يكون هذا فى علوم الهندسة ، فالمبنى الذى يتم فى أقصر وقت وأقل تكلفة هو المبنى الذى تكون دراسته كاملة حتى عدد المسامير وعدد المصابيح الكهربائية وحتى كمية الأخشاب ، كل هذا يدرس دراسة متأنية فى اطارها الفكرى وفى اطارها الحضارى ، بحيث يكون معروفا ببرنامج زمنى ماهو المطلوب عمله بالضبط ، وفى أى وقت ، وبأى كمية ، وبأى كفاءة ، ومن الذى يفعل ماذا ؟ فاذا تم دون ان تغيير على الاطلاق يكون ذلك أكفأ وسيلة لتحقيق هذا البناء ، بمعنى ان مرحلة الدراسة تكون كاملة فلا تحتاج الى تفكير اضافى اثناء التنفيذ . وعملية الفصل بين

الفكر والتخطيط والتنفيذ لا تعنى الجمود ، وهذا لا يعنى أيضا اننى اذا اكتشفت فى اثناء التنفيذ ما ينبغى تداركه أتفادى تداركه . لم يقل أحد بهذا ولكنى أقول أنه بقدر ما تكون الدراسة جادة وبقدر ما يكون التخطيط دقيقا ، وبقدر ما تكون أدوات التخطيط متوافرة ـ اذ لا يمكن الحديث عن التخطيط ان لم تتوفر الوسائل الاحصائية والاحصاءات التى يمكن الاعتماد عليها ، وان لم يكن هناك اطار فكرى متفق عليه يمثل الأهداف ويمثل الوظائف ، ويصل بين الممكن والمستحيل ـ فان التنفيذ يكون سليما وناجحا .

الأستاذ الباحث :

الأستاذ الجامعي لا يستطيع أن يشعر بأنه أستاذ لمجرد أنه يقول لتلاميذه ما هو موجود في بطون الكتب ، والأستاذ الذي ينحصر وينحسر فيقبل بمجرد دور الناقل لما هو في بطون الكتب إلى آذان التلاميذ أستاذ تجاوزه الزمن وتخلى عن دوره ومسئوليته وليس له مكان في مجتمعاتنا الحديثة ولا جامعاتنا الحديثة **الاّ مكاناً مؤقتاً** ، موقوت بقدرة هذه المجتمعات وقدرة هذه الجامعات على ايجاد من هو أفضل منه . الأستاذ اذن لابد أن يكون باحثاً علمياً ، لابد أن يبحث ، ولابد أن يشارك في دفع آفاق المعرفة . هذه الدائرة من المعارف لابد أن تتسع كل يوم وإذا كانت قيمة المجتمع بقدرته على التعامل بندّية حضارية ، والندّية الحضارية تعنى القدرة على عطاء حضاري قلّ أو كثر ، وكلما كثر كان أفضل ، فانه إذا قلّ إلى درجة أن يصبح المجتمع عالة على مائدة حضارات الآخرين عند ذلك تنعدم الندّية الحضارية ويتساوى وجود هذا المجتمع وعدم وجوده . ويصبح الصراع الحضارى محتوم النتائج . وهذا ايذان بزوال الحضارة وزوال ذلك المجتمع وان بقى الأفراد .

البحث العلمى اذن جزء أساسي من العمل الجامعي ، ومهمة الجامعة ألا تتحدث عن البحث العلمي دون أن توجد امكانات البحث العلمي . وامكـانات البحث العلمى معروفة ـ امكانات البحث العلمى هى مصادر المعرفة العلمية المتجددة ، أي مكتبة حديثة متجددة ، مكتبة بمعنى خدمة مكتبية ، وليس بمعنى مخازن الكتب ولا خزائن الكتب ، خزائن

الكتب تعبير تاريخي له مدلول معين ، ولكنى أتحدث الآن عن خدمة مكتبية ، أتحدث عن مختبرات ، أتحدث عن لقاءات في الداخل والخارج ، هل يكفى هذا ؟ إذا اكتفيت بهذا فكإنني أقول ان الجامعة هى ملتقى من الموهوبين الذين يمارسون هواياتهم الشخصية ، وهذا غير معقول وخصوصاً إذا كانت ممارسة هذه الهواية على حساب المال العام . ولكن المعقول أن يكون لهذا البحث العلمى معنى ومضمون وجدوى . ولذلك فان البحث العلمي لابد أن يقسم أقساماً . البحث العلمى المرتبط صراحة بأسئلة محددة تحتاج إلى أجابة غير متوفرة . ويجب ألاّ نبحث من فراغ فالبحث لابد وأن يسبقه علم وتخصص ، إذا لابد أن نعلم كل ما قيل حول الموضوع ، وبعد أن نعرف كل ما قيل أو كتب أو عرف عن هذا الموضوع نقف لنقول ماذا نستطيع أن نقترح ، ثم يوضع هذا الذي نقترحه ـ في المختبر أو في الواقع ـ موضع التطبيق . فاذا نجح كانت هذه معرفة جديدة : كيف نحسّن أداء مدرس اللغة الفرنسية فينتقل الطالب من نقطة الصفر إلى نقطة فهم نشرة الأخبار من المذياع ؟ نحسّن بمعنى أن يتم هذا الهدف المحدود في عشرة أشهر بدلاً من عشر سنوات . كيف نزيد من كفاءة قياسات معينة يترتب عليها أن تتحمل التربة بجهد أقل بنية أكبر ؟ كيف أستطيع أن أزيد من كفاءة مبيد حشرى ؟ هذه أسئلة محددة غير معروفة الاجابة يمكن أن ينهمك الموهوب في بذل الجهد والوقت والطاقة للتصدى لبعض الاجابات على بعض التساؤلات . هذا البحث العلمى يحكمه منطق معين ، منطق خطة التنمية والنفع المباشر ، ولكن هذه الاجابات كما نرى تتوقف على نتائج أعمال وأبحاث أخرى . نحتاج اذن إلى أبحاث أساسية وأبحاث نظرية وأبحاث غير واضحة الهدف في الوقت الحاضر وأبحاث غير محددة النفع أو النتائج التي لا يترتب عليها نفع في الوقت الحاضر ، وهذا نوع آخر من البحث العلمي يخضع لمنطق آخر ، وهذا النوع مكانه في أقسام الجامعة وكلياتها . أما النوع التطبيقي فمكانه مراكز البحوث . ومراكز البحوث العلمية لا ترتبط بالضرورة بوجود قاعدة صناعية . لقد ارتبطت مراكز البحوث العلمية بوجود قاعدة صناعية في المجتمعات الصناعية ، ولكن هذا لا يعنى عدم وجود أسئلة حقيقية محتاجة إلى اجابات حقيقية في مجتمعات أخرى مثل المجتمع القطري . جامعة قطر بها أربعة مراكز بحوث تتفاوت في نشاطاتها وفي كفاءاتها ، وفي انتاجيتها وفي تكلفتها ، وتتفاوت في جدواها ولكنها

تشترك في أنها مفهوم متكامل يرتبط بهذا الاطار الفكري الذي تحدث عنه . مركز بحوث علمية وتطبيقية ، مركز بحوث الوثائق والدراسات الانسانية ، مركز البحوث التربوية ، مركز البحوث الإسلامية المسماه بالسيرة والسنة النبوية ، وان كانت مجالات عمله أوسع مع ذلك . ومن المفروض أن تكون مراكز البحوث هذه متكاملة ولكنها لم تتكامل بدرجة كافية ، ويمكن أن تشترك كل مراكز البحوث هذه في قضايا معينة ، أو يشترك فيها مركزان أو ثلاثة أو أربعة . هل مركز البحوث منفصل عن الظروف الاجتماعية والحضارية الموجودة بها جامعة قطر ؟ إذا انفصل يكون شكلا وليس مضمونا . واذن لا ينبغى لفكرة مراكز البحوث في جامعة قطر أن تكون بنيات موازية للكليات ، ولكن منطق مواز لمنطق الكلية . وعند ذلك يصبح من الضروري أن يكون أفراد مراكز البحوث هم نفس أفراد هيئات التدريس مع منطق الاستفادة من القادرين على العمل خارج اطار الجامعة في المجتمع القطري ، مع منطق امكانية الاستفادة بالمختص الذي لا يوجد داخل الجامعة ولا خارجها ولكن يوجد خارج البلاد . مركز البحوث هذا يحتاج إلى منطق اداري وإلى منطق حضاري ، ويحتاج إلى منطق اعلامي ، ويحتاج إلى منطق ووعى بحثي بحيث نستطيع أن نتعامل معه تعاملاً يزيد من كفاءته الانتاجية . بهذا الشكل لا أتصور أن يكون مركز البحوث مركزاً للأساتذة الوافدين فقط ، بل ربما يكون اقتصار مراكز البحوث ـ إذا حدث هذا ـ على الأساتذة الوافدين فقط نقطة ضعف فيها ، ولا يعنى ذلك أن الأساتذة الوافدين أقل اخلاصاً أو وفاء أو ضميراً من المواطنين ، فهذا غير صحيح ولا ينبغى أن نفترضه ، ولكن لأنه منطق تحكمه الاستمرارية .

ان مراكز البحوث هذه يجب أن تنطلق ، ويجب أن تحقق نتائج . ويمكن أن نميز بين ما هو ممكن وما سوف يصبح ممكنا بعد زمن ، وما هو غير ممكن . غير الممكن يجب الاستغناء عنه بداهة . الأبحاث التي تخرج عن نطاق امكانياتنا الحاضرة والمستقبلة ليست مهمة جامعة قطر ولا مراكز البحوث فيها ، ولكن الأبحاث التي نستطيع التعامل معها بامكانياتنا المحدودة وطاقاتنا المحدودة وقدرتنا المحدودة وبالدينامية القادرة على التطور ، هذه هى الأبحاث التي ينبغى أن نتناولها ، ويجب أو يكون واضحاً وباستمرار لأنفسنا ولأبنائنا وللمتعاملين معنا ان منطق البحث العلمي التطبيقي يحكمه منطق مراكز البحوث وليس منطق الكلية الجامعية ،

وليس منطق القسم العلمي . كما أن منطق الأبحاث الأخرى لا يجب أن يخضع لمنطق مراكز البحوث لتشوقها للنتائج الملموسة المحسوسة المرتبطة بالاقتصاد والخطة وأحياناً النتائج السريعة ، بل تسير في مسيرتها التقليدية العلمية المنهجية المعروفة .

جامعة أعداد صغيرة :

جامعة قطر لا تكتفي اذن بأن تكون بها مراكز بحوث ، ولا تكتفي اذن بأن تكون مراكز البحوث فيها متزايدة الانتفاع بالطاقات المحلية ، بل يجب أن تدرك أن من ضمن واجباتها التعليمية اعداد الأفراد الذين يستطيعون أن يمدوا مراكز البحوث هذه بالقوى البشرية القادرة وذات الكفاءة . وليس القوى البشرية التي تتصور طموحات غير طموحات أولى العلم ، ولذلك تصبح جامعة قطر بالضرورة جامعة أعداد صغيرة ، وعدد طلاب جامعة قطر الآن خمسة آلاف وسبعة وخمسون . وهى اذن جامعة صغيرة بالنسبة للجامعات التي يبلغ طلابها عشرات الآلاف التي تشكل معظم جامعات الوطن العربي باستثناء جامعة الخليج ، وجامعة البترول والمعادن ، وجامعة الامارات العربية ، فمثلا يبلغ عدد طلاب جامعة الكويت حوالى العشرة آلاف ، ولذلك يجب أن ننظر إلى مفهوم المجموعات الصغيرة بمفهوم القاعات الصغيرة مفهوم أن عملية التعلم تحتاج إلى الاحتكاك بين الطالب والطالب في أعداد محدودة في النقاش ـ في الحوار ـ في الروح المتعاطفة المتأنية التي لا يستهلكها الجرى اللاهث حول الكم من المعرفة الذي نضحى في سبيله بالشيء العزيز الحقيقي وهو قدرة هذا الانسان على أن يكون متطوراً عاقلاً أمينا مخلصاً حسن التصرف مفكراً .

هذا عجالة سريعة عن فكرة الجامعة ، وعن التطبيق الجامعي ، وعن قضية ضرورة العمل على تقريب الفجوة بصورة مستمرة بين النظرية والتطبيق وخصوصاً وأن النظرية التي تحدثنا عنها للجامعة ليست شيئاً يستحيل الوصول إليه ، ولكننا نتحدث عن نظرية جامعية مرتبطة بواقع نستطيع التعامل معه ونستطيع أن نحققه ، ولكن لا نستطيع أن تحققه في الحال . وكلمة لا نستطيع أن نحققه في الحال لا ينبغى أن تكون معذرة للذين لا يريدون أن يتحركوا

للأمام ، لابد من بذل الجهود ، ولابد من قياس ملموس نحدد فيه أين كنا أمس وأين نحن الآن ؟ .

ويجب أن أذكر في هذا المجال بأن الجامعة لا ينبغى أن ترضى أبداً ليس فقط لأنها لا تقبل بالمستويات المتدنية ، ولكن لا ترضى أيّا كان مستواها . وطالما أن الجامعة أقسى ما تكون في نقد نفسها فهى جامعة حيّة متطورة قادرة على البقاء . الجامعة التي ترضى تتوقف . الجامعة التي ترضى جامعة أصابها السقم والعجز ، الجامعة يجب أن تتصور باستمرار بعقيدة راسخة وبروح خلاقة قدرتها المتجددة على التطور وعلى الانتصار ، الانتصار على النفس ، والانتصار على التحديات ، الانتصار كجامعة والانتصار كحضارة ، الانتصار كحاضر والانتصار كمستقبل .

مشكلات المجتمع :

من الطبيعي في هذا المجال أن نتساءل عن دور جامعة قطر في التعامل مع مشكلات المجتمع القطري . مجتمع لابد أن يتعامل مع مواقف مشكلة ، أي غير واضحة المعالم وغير واضحة الحلول . المجتمع القطري من الطبيعي أن به أشياء كثيرة من هذا النوع كأي مجتمع من المجتمعات ، وإذا تصورت أن الجامعة هى التى ستحل مشكلات المجتمع القطري فسيكون هذا التصور مبالغاً فيه من حيث النظرية ومن حيث التطبيق . وذلك لأن بالمجتمع القطري أجهزة وعناصر أخرى من مهمتها أيضاً حل هذه المشكلات أو المساهمة في حلها ، ولو أن جامعة قطر قامت بدورها في اعداد الفرد القادر على التعامل مع هذه المشكلات بكفاءة أكثر ، وتهيئة الرأي العام القادر على التعرف والتعامل مع هذه المشكلات بصورة واقعية وبصورة منهجية ، واستطاعت أن تصل إلى المجتمع وتتعاون معه في التعرف على المشكلات قبل استفحالها ، والتعامل بصورة موضوعية ، لكان هذا دوراً مجديا في الوقت الحاضر . ولكن هذا الدور لم يتحقق بدرجة كبيرة وأن كان قد تحقق جزئياً ، تحقق جزئياً عن طريق الخريجين وتحقق جزئياً عن طريق النشاطات الجامعية التي ترتبط بالمجتمع ، وتحقق جزئياً بمفهوم مراكز البحوث ، سواء

تحقق هذا المفهوم بصورة تطبيقية مقبولة أو لم يتحقق . فلو نظرنا إلى فكرة مراكز البحوث مثلاً لوجدنا أن نصف أعضاء مجلس ادارة مراكز البحوث التربوية من جمهور البحث التربوى خارج الجامعة أي من وزارة التربية والتعليم . وكذلك نجد من بين أعضاء مجلس ادارة مركز بحوث السيرة والسنة النبوية عناصر المجتمع التي يعنيها هذا الأمر بالدرجة الأولى كفضيلة الشيخ عبد الله الأنصاري وفضيلة الشيخ عبد الرحمن آل محمود . مجلس ادارة مركز بحوث الوثائق والدراسات الانسانية فيه وكيل وزارة الاعلام ، ومدير دار الكتب ، ومجلس ادارة مركز البحوث العلمية والتطبيقية به ممثلون لوزارة الزراعة ، مركز التنمية الصناعية ، وزارة الأشغال العامة ، وزارة الصحة ، مؤسسة البترول . . ألخ ، هذه القطاعات هى المجتمع ، حينما أتكلم مثلاً عن علاقة المجتمع من خلال مراكز البحوث التربوية فالمقصود هنا القطاع التعلمي ، ومع ذلك فان القطاع التعليمي ليس المدرسين ودرجات الادارة فقط ، ولكن أهم عناصره هم الطلاب ، كما أن أهم عناصر القطاع العلمي من زاوية مراكز البحوث العلمية مثلاً هو المستهلك الذي يسأل وينتظر الاجابة . هل استطاعت جامعة قطر أن تقيم الجسور التي كان ينبغى أن تكون بينها وبين المجتمع بمعناه العريض ؟ لا ، لم يتحقق ذلك . مثلا الموسم الثقافي الذي تقيمه الجامعة ولم يتوقف ولله الحمد طوال اثنتى عشرة سنة لننظر كم يحضرون من الجامعة وكم من خارجها ؟ الواضح أن أغلب الحضور من أسرة الجامعة . هذه مؤشرات لها دلالة ، هل هناك أسباب ؟ هل الاعلام غير كاف ؟ أم أن الموضوعات غير مهمة ؟ إذا كان الاعلام غير كاف فهذه قضية يمكن التعامل معها ، وإذا كانت الموضوعات التي تعالج غير مهمة فهذه قضية يمكن التعامل معها أيضاً ، لماذا تناقش موضوعات غير هامة ؟ وان كان هذا يثير موضوعاً آخر ، فهل لكى أجذب الجمهور ، لابد أن أناقش الموضوعات التي تهمه بصرف النظر عن نوعيتها ؟ يمكن أن نطرح موضوعات عن الكرة مثلاً ويملأ المدرج لكن هذا لا يكفى . هل قمنا بالدراسة العلمية عبر اثنتى عشرة سنة من عمر الجامعة ـ لتحديد نوعية الحاضرين وعامل ارتباطها بنوعية المحاضر وموضوع المحاضرة ؟ لماذا لم نقم بهذه الدراسة ؟ هل يكفى أن نترك موضوعاً مثل هذا لانطباعاتنا ؟ هل يكفى أن أقول ان السبب هو بعد الجامعة ؟ هذا انطباع شخصى قد يكون صحيحاً وقد لا يكون ، هل أقول أن السبب

هو أن الشباب يريدون شعراً فقط ، وأنه بمجرد أن دعونا شاعرين أو ثلاثة ملىء المدرج ؟ هذا الكلام لا يفيد ، والمفروض أن هذا موضوع بحث علمى يدرس دراسة دقيقة ، وأنا أطالب المختصين بأن يقوموا بهذا البحث العلمي ان لم يكن قد تم ، لأن تصحيح المسار يكون بهذا الشكل ، ولأن الجسور بين الجامعة وبين المجتمع تحتاج إلى المزيد وتحتاج إلى التقوية ، وعندما تقوم هذه الجسور بالصورة المرجوة فان أثر الجامعة ومسيرتها ستكون أقوى بكثير مما هى عليه الآن .

ماذا أعددنا لسنة ٢٠٠٠ ؟

وهنا قد يتساءل البعض ، أليست وظيفة الجامعة أبعد من مجرد التصدى للمشاكل القامة أو المتوقعة فى القريب العاجل ؟ وماذا أعدت الجامعة لسنة ٢٠٠٠ ، ولعصر ما بعد الصناعة ؟

الواقع أن التصدى لعصر ما بعد الصناعة يحتم توظيف مواهبنا كلها وليس فقط قدرتنا على التفكير ، لأن مجرد التأمل فى هذا الموضوع غير كاف ، عصر ما بعد الصناعة كقضية فكرية فى الغرب يعنى تقليل ساعات العمل ، مزيدا من الاستفادة من عائد التشغيل الآلى ، مزيدا من الاستفادة من التكنولوجيا المتطورة ، والتكنولوجيا المتطورة تعطى انتاجا اضافيا ، وهذا الانتاج الاضافى لا يوزع على فئة واحدة ولكنه يوزع على الكل بصورة أو بأخرى دون النظر الى ما يأخذ أكثر . وهناك فرق بين المنطق الغربى ومنطق دول العالم الثالث بالنسبة للتكنولوجيا ، المنطق الغربى بالنسبة للتكنولوجيا هو استخدام التكنولوجيا المتطورة لزيادة الانتاج وثمار الانتاج أولا ثم الراحة ، التصور فى الدول النامية أن مهمة التكنولوجيا أن نرتاح أولا ثم نزيد الانتاج بعد ذلك ، هذه نقطة فى غاية الخطورة أحب أن ألفت النظر اليها بشدة لأن الانتاجية الضئيلة للفرد فى المجتمعات النامية لا تعالجها التكنولوجيا اذا استمرت هذه النظرة لها ، لأن التكنولوجيا بهذا الشكل ستؤدى الى المزيد من التوجه نحو التقاعد والتكاسل . فاذا كانت انتاجية الفلاح فى مجتمع نام محدودة فان التكنولوجيا بهذا الشكل ستجعله لا يعمل اطلاقا لكى تعطى نفس الانتاج أو أكثر قليلا ، وهذا لا يحل مشكلة الحضارة المعاصرة . نقل التكنولوجيا التقليدية الى الدول النامية له محاذير متعددة على رأسها قضية التلوث بالاضافة الى أن

التكنولوجيا التى تصدر تكون أقل تقدما . والغريب أن بعض الدول النامية بدأت تلعب هذه اللعبة مع بعضها البعض ، سنغافورة تحول الآن بعض الصناعات الى بلد مثل سيرلانكا ـ صناعة الملابس الجاهزة وصناعة النسيج وما شابه ذلك ـ لكى تستطيع أن تقيم صناعات أخرى اكثر تقدما ، فكأن السبب عنصرى لأن سنغافورة دولة عنصرية ، وهم لا يريدون ازدياد السكان ، وسنغافورة سكانيا كانت جزءا من ماليزيا وتحولت الى مجتمع صينى ، وهذا المجتمع الصينى لا يريد أن يزحف عليه مرة أخرى المجتمع الماليزى أو الحضارة الاسلامية بمعنى أصح .

وليست هناك اجابة جزئية على هذا السؤال ، بل ان البحث عن اجابة جزئية يعد مضيعة للوقت ، والتعامل مع هذه المشكلة تعامل شامل ، لابد أن يعرف المجتمع وهو فى معركته الحضارية من هو ، وهذا ممكن واجراءاته معروفة ولابد أن يتخذ المجتمع من الاجراءات ما يستطيع على أساسه تقدير اتجاه المسيرة وسرعتها .

قضية التخطيط ، ماهى ؟ التخطيط ليس تمنى التحسن أو تمنى التقدم ولكنه حصر الامكانات المتاحة فى التوواللحظة ، حساب فرصة الزيادة فى الامكانات عبر فترة زمنية بصورة ديناميكية واقعية ، ثم رسم الطريق من نقطة البدء وهى الواقع الى نقطة المستقر المؤقت أو المرحلى وهى الهدف المرحلى المحدد بصورة اجرائية ، هذا هو التخطيط فى تصوره السهل ، سواء كان تخطيطا تربويا أو تخطيطا اجتماعيا . ولكن كما نعلم ليس هناك شيء اسمه تخطيط تربوى بمعزل عن التخطيط الصحى ، وليس هناك تخطيط صحى بمعزل عن التخطيط الاقتصادى ، وليس هناك تخطيط اقتصادى بمعزل عن تخطيط ثقافى أو بمعزل عن عقيدة ـ ولذلك فلابد أن تكون العملية كلها متشابكة ، أى أننا جميعا لابد أن نقوم بدورنا والا لن يحدث التقدم . ليس ضروريا أن يتساوى الجهد المبذول ، وان كان الوضع الأمثل ان يقوم كل منا بدوره . ولكن اذا لم يقم فرد بدوره ، كان على فرد آخر ان يبذل جهدا أكبر وهو منا يسمى بالتضحية . لكن لابد أن نعلم أيضا أن المجتمعات لا تقوم على اساس التضحيات ، لأن التضحية لا يمكن أن تكون اسلوبا دائما . التضحية مجهود مؤقت للأقلية ، ولكن لو طال

الزمن على هذه الأقلية المضحية فان القدرة على التضحية تتآكل بمرور الزمن حتى تصل الى مرحلة تتوقف فيها تلك القدرة هذا الاطار العام للقضية ، لكن الاجابة التفصيلية تحتاج الى ان نتحدث فيها أكثر ، لأن هذه الموضوعات تحتاج الى حوار والى أخذ وعطاء عملية شحذ للفكر حتى نصل الى شيء . والقضية قضية كيف نتعامل مع حضارة عطاؤها الانسانى فى الوقت الحاضر أكثر من عطائنا ، مع ايماننا واعتقادنا بأن عطاءها الانسانى وان كان أكثر من عطائنا الا أنه لا يصلح لا للانسان المعاصر ولا لانسان المستقبل فى بلادنا ، وأن لدينا الصيغة التى نستطيع بها أن نتعامل انسانيا مع الحاضر والمستقبل ، ولكننا لا نبذل من طاقاتنا ما يكفى لتحقيق هذه الأهداف .

الجامعة وانتماء المثقفين :

فى الختام أحب أن أتعرض بايجاز لقضية تثار دائما فى هذا السياق ، وهى دور الجامعة فى بناء مثقف عربى منتمى .

والواقع أن المثقف العربى ليس نتاج الجامعة فقط ، وكيف يكون المثقف العربى نتاجا للجامعة فقط ؟ وكأن الجامعة هذه جزء خارج المجتمع وهى ليست كذلك . فهى جزء من المجتمع ، لها مميزاتها وعناصرها المميزة لكنها جزء من المجتمع . المثقف العربى المعاصر ـ فى الغالب الأعم ـ تعينه قضاياه الشخصية ولا يستبسل فى التعامل مع القضايا العامة ، وهناك أسباب كثيرة لذلك . لقد علمته الأيام والأحداث بأن الطريق السهل أسهل من الطريق الصعب وهذا طبيعى ، ولكن على المدى الطويل ليس السهل بالضرورة أفضل من الصعب ، ولو تساوى السهل مع الصعب لانتهى الأمر . المثقف العربى يستطيع لو آثر السلامة ان يحصل عليها ، ولكن المواطن العربى هو الذى يدفع الثمن ، المثقف العربى يستطيع ألا يدفع ثمن ايثاره للسلامة ، ليس هذا فقط ولكنه يستطيع أن يأخذ ميزات نتيجة ايثاره للسلامة على حساب المواطن العربى . أن المثقف الممتاز ـ فى أى مجتمع ـ عنصر محدود الوجود . وفى ظروفنا فنحن نتطلب أيضا أن يكون شجاعا وطبيعى ان هذا الشرط يعتبر فى

ظروفنا عبئا ثقيلا .

القضية الفلسطينية :

مثلا موقف المثقفين من القضية الفلسطينية ظاهرة يفرزها واقع عربى . القضية الفلسطينية فى تصورى ليست مجرد مؤامرة للقوى الصهيونية . من الطبيعى أن تعمل القوى الخارجية باستمرار لصالحها . هل نلوم أصحاب المصالح التى تعارض مصالحنا لأنهم يعملون لمصالحهم ؟ الجسم غير السليم يتأثر بالجرثومة أكثر ، ولا يتأثر بها عندما يكون الجسم صحيحا . أليست القضية الفلسطينية جزءا من الحالة العربية حتى ولو كانت الحالة العربية متأثرة بالقوى الخارجية ؟ هل حقيقة أننا على هذه الدرجة من التخلف الحضارى ؟ هل نستطيع أن نتعامل مع واقعنا الحضارى ايا كان تقدمه أو تخلفه ؟ طبعا لا ، ولماذا لا نتعامل ؟ هذه قضية ترتبط مرة أخرى بالجيوب الحضارية .

لتوضيح تعبير الجيوب الحضارية أو الواحات الحضارية ، أقول أننى أستطيع أن أحضر مجموعة من البشر وأجعلهم يعيشون فى وسط الصحراء كما يعيش مجتمع فى نيويورك . أحقق لهم ما يريدون من شوارع ممهدة نظيفة وبيوت حديثة وتليفزيون وكهرباء وتكييف وسيارات الى آخره . استطيع أن أفعل ذلك بالنسبة لعدد قليل ، ولكنى لا استطيع تعميمه ، لأننى لو قمت بهذا بالنسبة للمجتمع كله فلن تصبح واحة أو جيبا حضارية . الجيب الحضارى مشكلته فى عدم قابليته للاتساع الى ما لا نهاية انه حضارة غير قابلة للتعميم حتى لو لم يكن هناك سلبيات أخرى . استطيع أن أدرب مجموعة معينة تدريبا دقيقا على النظافة والدقة والمنهجية فى التفكير ، لو عممت ذلك أكون قد رفعت مستوى المعيشة واذا لم أعممها تصبح جيبا حضاريا . ماهى مشكلة الجيب الحضارى ؟ وهل لو وسعنا الجيوب الحضارية تظل تتسع وتتسع حتى تتصل ببعضها البعض ويكون المجتمع ككل قد تقدم ؟ هناك اطار ، واما ان يتقدم هذا الاطار ككل مع بعضه فيكون بذلك متكاملا مع نفسه ، واما لا يستطيع أن يتقدم كله فأقدم البعض جزئيا ليكون كل على حدة واحة حضارية . والنظرية هنا هو أن أجعل كل

واحة من الواحات تكبر وتتسع ثم بمرور السنين ، بعد عشرين سنة أو ثلاثين أو خمسمائة سنة مثلا تتصل تلك الواحات ببعضها البعض ويتحقق التقدم الحضارى بالتغريب الكلى . لماذا اثبتت تجربة « أتاتورك » عدم صحتها وعدم جدواها ؟ وأنا أقول « أتاتورك » لأنه قريب وكلنا نعرفه ، وهناك تجربة أخرى أعرفها أكثر من تجربة أتاتورك هى تجربة الفلبين ولن يتسع المجال الآن للكلام عنها ، الفلبين قامت بعمل قشرة حضارية عبر تأثرها بالمسيحية وبأسبانيا ثم بأمريكا ، مثل خاتم الفضة عندما يكسى بقشرة من الذهب تغطية ولكنها قشرة من الذهب تغطية ولكنها قشرة ما تلبث أن تزول . مشكلة الجيوب الحضارية التى تتمثل فى المدارس الغربية أو مدارس معاصرة أو جامعات غربية يسمونها جامعات معاصرة . مثلا عندما زرت جامعة « أبادان » فى افريقيا ، وتحدثت مع أحد الطلاب تخيلت اننى أكلم مسترجلادستون ، وعرضوا لى مسرحية هاملت على أروع ما يكون . ولكن ما علاقة هذا بالواقع الافريقى ؟ ماذا تعنى هذه المسرحية بالنسبة لوالد واحد من هؤلاء الطلاب لو حضر لمشاهدتها ؟ من هو هاملت ؟ ماهى القضية الانسانية التى يثيرها شكسبير فى هاملت وتربطه مع هذا المواطن والد هذا الطالب الذى يكلمنى مثل جلادستون ؟

النزيف :

ان هذه البيئات الحضارية المنعزلة مدمرة اقتصاديا لأنها تسحب من الطاقة الاقتصادية لمجموع الشعب نتيجة للاستهلاك المبالغ فيه بالنسبة لمصادر الدخل ومصادر الثروة بما يمنع من وجود استثمارات كافية لكى يحدث التطور ناهيك عن كارثة انفاق الأموال خارج المجتمع . فى المجتمعات القديمة كان الغنى يشترى بالمال ذهبا وكان الذهب يورث ، أما فى المجتمعات الحديثة فتنفق الأموال خارج المجتمع سفرا أو استيرادا ، وأنا لا أتكلم عن المجتمعات البترولية فربما يكون حديثها حديثا مختلفا ، ولكنى أتكلم عن قضية العالم النامى بصفة عامة . وأقول أن النزيف الاقتصادى على وضوحه وخطورته أبسط أنواع النزيف ولكن النزيف الأخطر هو ان نصبح غرباء عن بعضها البعض . وليس هذا نتيجة لفجوة بين الأجيال كما يقول البعض ، ولكنى أعنى الفجوة بين الناس ، فالانتماءات مختلفة ، والأهداف مختلفة ،

وليس هناك لغة واحدة ولا منطقا واحدا ولا تعامل مع الحياة بصورة واحدة . المثقف فى الجيب الحضارى لا يحس بانه فى خدمة الناس بل وربما يحس بالغربة عنهم ولا يعتقد ان مهمته أن يخدمهم ، مع ان هؤلاء الناس قد انفقوا كل طاقتهم حتى وصل الى ما وصل اليه .

ما الذى أوصل المثقف العربى الى ما وصل اليه غير طاقات وهموم بقية المواطنين ؟ والنتيجة هى ما أسميه باختلاف التوجه ، أين تريد أن تذهب ، وأين أريد أن أذهب ، حينما لا نعلم أن لدينا اختلاف توجه ترى كلا منا يسير فى اتجاه دون أن يدرى .